جون بوينتون بريسلي

المسرحية الثانية عشرة

الــــوردة والتــــاج

مسرحية ذات فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

John Boynton Priestley

(né en 1895 + 1985)

La Rose et La couronne

جون بوينتون بريسلي. (١٨٩٥ - ١٩٨٥)

كاتب بريطاني كتب العديد من الابحاث والقصص القصيرة والروايات. وكان ناقداً أدبياً. ورغب من بعد في أن يثبت أنه قادر «على التفكير والابداع ككاتب مسرحي لا كروائي فقط».

ولم يتوقف بريسلي عن الكتابة للمسرح من بعد النجاح الذي قوبلت به مسرحيته «منعطف خطر» في لندن عام ١٩٣٢. كما قام بالاخراج وبجولات مسرحية. وترجمت مسرحياته إلى كافة اللغات تقريباً. كما أن مسرحيته «حين تزوّجنا» كانت أول عمل مسرحي يقوم التلفزيون البريطاني بنقله نقلاً حياً ومباشراً.

هذا وقد أولى بريسلي اهتمامه لكافة مسائل المسرح الفنية والتقنية. فرئس المعهد الدولي للمسرح وأدار المناقشات في مؤتمر المسرح البريطاني.

أربت اعمال بريسلي المسرحية على الثلاثين وهي شديدة التنوّع. وقد وصف أحياناً بالكاتب «الطبيعي». أما عن لغته المسرحية فيقول إنّ «اللغة التي يتكلمها أشخاصه لدى نهاية مسرحياته أكثر غنى بشكل دائم وأكثر تعقيداً من اللغة التي يستخدمونها لدى رفع الستار حين يتعلق الأمر بنيل ثقة الجمهور».

الشخصيات:

المستر ستون :	M r. Stonne.
المسز ريد :	Mrs. Reed.
برسي راندل :	Percy Randle.
إيفي راندل :	Ivy Randle.
مي بيك :	Ma Peck.
هاري تيولي :	Harry Tully.
الغريب :	L´Inconnu.

المكان: حانة ترفع لافتة «الوردة والتاج» في حي فقير يقع شمال شرقي لندن.

نهاية نهار خريفي.

يجري المشهد في منهل الحانة: البار.

إذا كان الديكور موضوعاً فيمكن أن يمثل حجرة فقيرة، على شيء من الكآبة، لها نافذة عليها ستائر. أما الاعلانات المألوفة الملصقة على الجدران فيستحسن أن تكون كابية. في صدر الحجرة باب، يقع في الوسط. وهو باب بسيط أو بدرفتين مرتدتين. لا يسع المشاهد أن يرى المنهل على الجدار الرابع. بل يرى فقط مبسطه[1] المقطوع عند الوسط، والذي يبدو متيناً جداً بعرض يقارب ثلاثة أمتار.

أما وصاحب الحانة غير مرئي، مع أنّ الممثلين ينبغي أن يتصرفوا وكأنه هناك، فان عملية تناول المشروب وتسديد الثمن عملية وهمية. أما اذا فضّل المخرج أن يحمل الممثلون كؤوسهم بأيديهم - وذلك أمر مفضّل - فالمبسط ينبغي بناؤه بشكل أكثر متانة على الأرض. وأن تؤخذ الكووس من قبل

(١) المبسط هو الطاولة المستطيلة أو المنحنية قليلاً والتي يقف الزبائن عندها لتناول الشراب في المنهل.

الممثلين بمهارة، من فوق رفوف لايراها المشاهدون، لكنها مثبتة علي المبسط . أما اذا كانت عملية الأخراج متواضعة، فليس ما يدعو إلى ديكور مشيد . يكفي فقط باب في الصدر وتحل ستائر باهتة محل الجدران . والوضع المثالي أن تكون خشبة المسرح مضاءة من الواجهة .

تكون خشبة المسرح فارغة مع رفع الستار ثم يدخل ستون . إنه رجل متوسط العمر، بدين عبوس ويشبه عامة الناس . بوسعه أن يدخن غليوناً صغيراً رديئاً . يحمل بيده صحيفة المساء . وعليه أن يومىء بطلب شراب مثلما سيفعل الباقون من بعد . . . وعليه بكل عناية أن يوهم بوجود فْرِيْدْ، صاحب الحانة، والمفروض أن يأتي كل مرة إلى وراء المبسط .

ستون: (عابساً وهو يتابع فْريْدْ بعينيه) ـ طاب مساؤك، يافريد، لو كان بوسعنا أن ندعو هذا المساء بالطيّب! نصفيّة غامقة! . . . (ينظر في جريدته ثم يأخذ كأسه فيدفع الثمن ويشرب جرعة. ثم يعود إلى جريدته التي يقرؤها بهيئة اهتمام).
ماذا؟ كلا، لم أر شارلي في هذه الأيام وأنا في تمام الغنى عنه . . . فهو لايثير اهتمامي . . . (يرفع عينيه) بالتأكيد، يافريد، يلزمك من كل شيء لتصنع العالم! ليتني أقع فقط على أناس قادرين أن يصنعوا لي أنابيب رصاص من قياس ٥ سم . . . لكن لا! . . . ولا بأي ثمن، حتى لتصاب بالجنون. (استأنف القراءة بكآبة بعد أن اقترب من المنهل). سقوط طائرتين. هذا لايدهشني. لن يمر وقت طويل قبل وقوع حوادث أخرى، وسوف ترى. إنها مثل السيارات. تنبّه جيداً. مجزرة حقيقية. المسألة واضحة. مجزرة حقيقية. إنهم لايتخذون الاحتياطات اللازمة. تلك هي المسألة برمتّها. إنهم لايتخذونها. (يظهر أن فريد يحاول أن يروي له قصّة، لكنه لايصغي اليه تماماً ويقاطعه). إن كانت قصة مجلّد الكتب وأرملة دونكاستر فقد سمعت بها من قبل (يعود إلى جريدته).

مسز ريد : (تدخل . إنها امرأة متوسطة في السن، ناحلة، ملتفة الجسم وحزينة تتوجه ناحية مبسط المنهل)
- . . . مساؤكَ يا فريد، . . . مساؤكَ يا مستر ستون .

ستون - . . . مساؤكِ .

مسز ريد - سأشرب قطرة ستاوت، يا فريد، ماركة غوينس إن كان لديك . ألا كم أشعر أني متعبة في هذه الأيام، إني مرهقة إلى حد الانهاك، إن صحّ القول . وليست بي من رغبة في أي طعام . فقطرة وافرة من الستاوت سوف تهدىء معدتي . كنت عند شقيقتي، مساء أمس، فهي متزوجة من رسام يعمل في الديكور ولديه عمل صغير خاص به ومزدهر - لقد صنعت لنا فطائر . الواقع إنها لذيذة جداً في وقتها، أما حين وصلت إلى البيت فكانت معدتي تلتهب ناراً، وثقيلة كالرصاص . (أخذت كأسها فدفعت الثمن . لكن قصتها قوطعت بنظرة استهجان من ستون الذي نطق بلفظة توت . . . توت . فنظرت إليه بعداء) .

مسز ريد - ماذا يعني قولك «توت . . . توت؟» .

ستون - (بتثاقل) . يعني حسبي متاعبي الخاصة، يامسز ريد، ولاحاجة بي لأن تأتيني بفطائرك ومعدتك .

مسز ريد - طيّب، ليس لي من خيار بين المتاعب، على هذا الأساس - يامستر ستون - إلا أن تأتي فتركّب انبوباً جديداً للمجلى عندي .

المستر ستون - (مستاءً) : إن لم أذكر ذلك على مسامعك مرّة فقد ذكرته عشرين مرة، يامسز ريد، لا أستطيع أن أركّب عندك أنبوباً جديداً من قبل أن تتوفّر لدي أنابيب جديدة . أهذا منطقي أم لا؟

المسز ريد - أو تعتقد؟

ستون - (مغتاظاً) : اسمعي، إني أمضي وقتي في الجدال مع اناس مثلك .

مسز ريد - آه، كلا، ليس معي . فلديّ مشاغل أخرى .

ستون - قلت مع أناس «مثلك» . وحين يتاح لي أن أمضي نصف ساعة من أمسية، كما الآن، فأود أن تكون راحة حقيقية، مفهوم؟ ومع ذلك! لايسعني أن أضع لك أنبوباً جديداً مالم أستلم أنابيب جديدة . أهذا صحيح أم لا؟

مسز ريد - (مغتمّة) : لست أدري . كل ما أعرفه أنهم قاموا بتجهيز غرفة حمام كاملة مع دورة مياه وتوابعها، في بيت مسز فيرغسون، وهو تحت منزلنا بثلاثة طوابق .

ستون – لست على علم بذلك مطلقاً . فهي ليست من بين زبائني .

مسز ريد – ذلك يُرى من فوره! الأرجح أنها السوق السوداء . فكل ذلك يمضي سوياً . إنها تتوجه لتصفيف شعرها كل خمس دقائق وتقصد حانة «الجواد الأبيض» . لارتشاف عصير الفواكه ممزوجاً بالجين . آه، لقد سمعت بشأنها الشيء الكثير!

ستون – طيب، أنا لم اسمع، والأمر لا يهمّني (يقرأ) .

مسز ريد – (تنظر اليه بسخط، ثم يبدو عليها السأم . فَرِيْدْ ترك المنهل . فتسعى إلى محاولة جديدة حيال ستون) .

هل قرأت حكاية تلك المرأة التي انتحرت بالغاز، في موليسلي تيراس، لأن زوجها أخذ البيانو ليبيعه حتى يقامر في سباقات الخيل؟

ستون – (تصدر عنه غمغمة من غير أن ينظر اليها) .

(يمرّ وقت تكفّ فيه مسز ريد عن الاهتمام بستون . يدخل بيرسي وإيفي راندل . إنهما ثنائي في مقتبل العمر . فهو طويل القامة نحيل ومتشائم . وهي قصيرة هشّة وَجِلَى، تعلو وجهها مسحة حزن . يقتربان من المبسط قرب مسز ريد التي تنظر اليهما باهتمام وتستدعي المعلّم باستعجال) .

مسز ستون – فْرِيْدْ! فْرِيْدْ!

(تلاحق أنظار مسز ريد وآل راندل دخول فريد).

بيرسي – (كأنما يجب رداً على فريد) : كلا، الحقّ أنّي لا أرى الطقس حسناً هذا المساء.

ايفي – (بصوت خافت) : الطقس يزداد تبرّداً.

بيرسي – ماذا تشربين يا ايفي؟ غامقة أم فاتحة.

ايفي – ربما فاتحة، يابيرسي.

بيرسي – نصفيّه غامقة ونصفيّة فاتحة (يأخذ الشراب ويؤدي حركة تسديد الثمن). (تتبادل ايفي ومسز ريد ابتسامات خفيفة).

بيرسي – هاك يا ايفي. اشربي الآن ولا ترتشفي.

ايفي – (إلى مسز ريد) : هذا مايقوله لي دوماً. فانا في الواقع لا أشرب أبداً، واعرف ذلك حق المعرفة، إني ارتشف على الدوام. ولا أظنني أحب الجعة حقاً. فقد جئت لاكون بصحبة بيرسي. فكأس صغيرة من البورتو[1] هو ما أحبه بشكل خاص.

بيرسي – (يسخر منها وهو مقطب الجبين) : إليك عني أنت والبورتو! (يذهب إلى زاوية المنهل).

---

(١) نبيذ مشهور في البرتغال بشكل خاص.

مسز ريد – أنا أيضاً تعودّت أن أشرب كأساً صغيراً من البورتو بين وقت وآخر، أما الآن، وحتى لو عثرنا عليه، فقد أمسى سعره!

ايفي – هذا صحيح تماماً.

بيرسي – ما عاد يُعْثَر عليه في هذه الأيام.

ستون – (بتثاقل): يعثر المرء علي ما يشاء من البورتو. اذا كان يعرف كيف يرى بوضوح.

مسز ريد – (بعداء): آه، حقاً. إنه لنبأ متفرّد بالنسبة لي.

بيرسي – وبالنسبة لي أيضاً.

ستون – طيّب، إنه متوفر. غير أن ذلك يدخل ضمن الأعمال المخزية، مثل الكثير من الأعمال القذرة المخزية حالياً، إنه لمن الأعمال المخزية.

(يعود إلى جريدته).

مسز ريد – (تقول لإيفي): ألم أرك في محل ماكبي، البقّال، عند التقاطع؟

ايفي – محتمل جداً. مع أني لم اعد أقصد محله منذ زمن طويل.

مسز ريد – (بعبوس): من المستحسن أن تراقبيه بدقة.

بيرسي – أليس هذا تحديداً ما قلته لك ياإيفي؟

إيفي – أجل، هذا صحيح يا بيرسي. (تقول لمسز ريد) زوجي قال لي نفس الكلام بالضبط: «من المستحسن أن تراقبيه بدقّة». ذلك ماقاله لي.

مسز ريد – لم يعد يكرر المحاولة معي. لقد فهم.

ستون – (يقول بعداء وهو يرفع نظره). «لم يعد يكرر المحاولة» ماذا؟

مسز ريد – لاتهتم بهذا الأمر. فانا لا اتحدث اليك، يامستر ستون. (تقول لإيفي) لكن راقبيه.

ستون – لكن أجيبوا أنتم، ألم تسمعوا قط بالقوانين حول التشهير؟

مسز ريد – هيّا، نحن لانتهجّم على أحد.

ايفي – (بقلق): آه، انا لم أقل شيئاً، أليس كذلك يابيرسي؟ (تقترب من بيرسي).

ستون – أنا لم أقل عنك أنت. إنما هي وهو. والذي اقوله إنّ هناك قوانين حول التشهير. أمّا من ناحيتي، فأنا تاجر ولدي مخزن.

مسز ريد – هذا صحيح واذا شئت سماع رأيي فيمكن وضعكَم جميعاً في ذات الجراب.

بيرسي – (بعبوس): لن يدهشني ذلك.

ايفي – (فزعة ولاهثة): الزم الصمت يابيرسي .
بيرسي – ولم ذلك؟
مسز ريد – لكن لا .
بيرسي – هذا «المسيو» يقول إنه تاجر ولديه مخزن، طيب! وانا وزوجتي، من الزبائن، الأمر هكذا . ولقد مرّ زمن كانت فيه للزبون مكانة مرموقة .
مسز ريد – أجل، حين لم يكن بوسعهم أن يعاملوك كالحثالة!
ستون – (بشيء من العنف): ليس هناك من يسعى لمعاملة أحد كالحثالة مالم يسلك سلوك الحثالة .
مسز ريد – (بغضب): يسلك سلوك الحثالة؟ ذلك هو الافتراء بعينه . وأنا المقصودة من غير سبب . تقول الحثالة، حقاً! لو أبديت اهتماماً بالمجلى لديّ على نحو ما طلبته منك . . .
ستون – (يقاطعها): عدنا مجدداً! ذلك ماقلته تماماً . الزبائن! إنّهم لايريدون أن يفهموا، هكذا بكل بساطة، لايريدون أن يفهموا . قد تحسبين أن بوسعي جعل أنابيب الرصاص تنبت في حديقتي مثل باقات الراوند[1]!

(١) عشب ذو منافع طبية .

ايفي – (بأمل) : لايسعني استنشاق الرواند. لم استطع البتة.
ستون– وهل أطلب اليك أن تحبي الراوند؟
بيرسي – هذا صحيح. لقد خرجت هنا عن موضوع المناقشة، يا أيفي. وهذا ما أقوله لك على الدوام: ستخرجين أيضاً عن موضوع المناقشة.
مسز ريد – أما بعد فمن لديه الرغبة في مواصلة المناقشة. وتدور المناقشة وتدور. لقد بلغت المناقشات حد الافراط في أيامنا.
إيفي – هذا ما أقوله لبيرسي على الدوام.
(يهز ستون رأسه بغضب، وينطق بلفظة توت... توت... بصوت عالٍ ليغوص في جريدته. فترمقه مسز ريد وهي تقطب وجهها باستياء وتحاول ايفي أن تحتوي ضحكتها فينظر إليها بيرسي بقسوة).
مسز ريد – (تقول لإيفي): وضعي أنا مماثل لوضعك لكن مع البندورة.
إيفي – حقاً؟
مسز ريد – ينتابني ذلك علي نحو مباغت إن صح القول. ذات يوم، استبدّت بي رغبة حقيقية في البندورة. وفي اليوم التالي، لم أقوى على النظر اليها إن صح القول.

لقد كان وضعي على هذا النحو بشكل دائم. ومعدتي الهشة تسبّب لي الكثير من المتاعب.

إيفي – شقيقة زوجي تعاني من الوضع ذاته، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – كانت دوريس على هذا النحو بشكل دائم منذ فترة حملها. الايجعلكم هذا سعداء؟

مسز ريد – سعداء؟ أنت تضحكني. اسمع، لو أني صادفت السعادة الآن، لما استرعت مني أيّ انتباه.

ستون – لاتشغلي بالك. فانت لن تصادفيها.

مسز ريد – (تتجاهله): وأقول هذا لك على نحو ما أفكر فيه: بل أمضي إلى حد أنهم لو سألوني إن كانت الحياة تستحق منا عناء أن نحياها، فهل تدري بماذا أجيبهم؟ ساقول: «كلا»، وبكل وضوح.

أيفي – يقول بيرسي احياناً القول ذاته، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – أحياناً. فانا لست مثل بعض الأنماط، لأني من جانبي أراقب الأشياء وأحاول التفكّر في الأمور بعض الشيء. عندئذ أرى الحياة منفِّرة مثلما تقول إيفي.

ستون – (بعبوس): إن كانت الآن بالنسبة لك منفّرة، فكيف يكون الحال معك حين تصير في مثل سنّي؟ فأنت قد بدأت للتوّ. هلاّ انتظرت قليلاً!

بيرسي – يمكن للمسألة أن تكون على نفس الدرجة من القسوة بالنسبة لي كما بالنسبة لك. وليس مايدعو لأن ننتظر ذلك.

ستون – (بعبوس أكثر على الدوام): سوف ترى، أنا أقول لك: انتظر! انتظر حتى تجرّب تسيير إحدى المصالح. وعندها يبدأ الجميع بالعواء خلفك، فترتمي أسرتك لتتلقّف كل ماستكسبه - زدْ أن شعرك سيتساقط واسنانك ستتخلّع وسوف تصاب بالدوالي وتنتابك آلام في الظهر.

إيفي (بزهو) – يتولى بيرسي اعباء عديدة في المخزن. ومسؤولية والدته تقع على عاتقه، ويعاني من أوجاع رهيبة في الرأس، أليس كذلك يابيرسي؟

بيرسي – أوجاع بشعة. ليس هنالك من وصف آخر. بشعة. وليس من علاج. لقد عانيت منها دوماً.

مسز ريد – (تتنهّد): وأخيراً. إن لم يكن السبب من هذا فمن ذاك.

إيفي – هذا صحيح. ومع ذلك فبوسع المرء أن ينتظر. فمن بعد الشدّة الفرَجَ.

ستون – ثم من بعد؟ لبلوغ أيّ شيء.

بيرسي – (بوقار): زوجتي أبدت ملاحظة عابرة، ليس إلا. فليس مايدعو إلى مضايقتها من أجل تفاهات على ذلك النحو.

مسز ريد – هذا شأني أنا، وهو لا يعنيك إذا ما رغبت في معرفته.

بيرسي – لاتعره أي اهتمام. فقد بدأ يومه بداية نحس، هذا الصباح.

ستون – وما أدراك؟

مسز ريد – أنا متفق معك تماماً. فهذا شخص سمج.

بيرسي – هذا شأني أنا، وهو لا يعنيك إذا ما رغبت في معرفته.

ستون – (بقرف): آه! فلنكفَّ عن الاهتمام بهذا! (يحول وجهه ويأخذ جريدته. فيغرق الآخرون في صمت كئيب).

تدخل مي بيك. إنها امرأة عجوز ذات مظهر مهمل وطبع حاد وماضٍ مشبوه.

(تنظر مسز ريد اليها وهي تقترب ببطء)

مسز ريد – (دون أن تنظر إليها): كنت أعتقد أن فريد نورتون يسعى لأن يجعل من هذا المكان داراً مرموقة.

مي بيك – (تنزل إلى المنهل بقرب مسز ريد): هل أبديت ملاحظة حيالي «ياسيدتي الكونتيسة؟».

مسز ريد – (بوقار): كلا، على الاطلاق. ليس حيالك. كنت أتحدث إلى السيدة، الحاضرة هنا.

مي بيك – (بتمييز ساخر): آه! إلى السيدة الحاضرة هنا. حقاً. لدينا في الواقع طقس رائع، إلا أن النهار يقصر أكثر فأكثر! برّرّرّرّ! (تخبط بيدها على المبسط وتصيح) هيه . . . !

كيف هذا؟ يافريد! (تتابع بنظرها دخوله وتبتسم) والآن أول اهتمامك امرأة عجوزاً نالت أكثر من نصيبها من المتاعب. اريد كأساً من الغامقة ومعها كأس صغيرة مترعة بالجينّ. . . هيّا. . . لديك جين بكل تأكيد. ولاتتأفّف، فأنت لن تراني طويلاً في هذه المرة. فأنا لااستطيع القيام إلا بجولة، ولست أرى واحداً وسط اللُّمامة ليقدم لي كأساً ثانية.

مسز ريد – إنّ الذي قام بذلك للمرة الآخيرة قد آل به الأمر إلى المحكمة.

ستون – (بلؤم ومن غير أن يرفع نظره عن جريدته): ولم يكن ذلك لأول مرة على أي حال.

مي بيك – أنت، ليست هناك أية خطورة من أن يوقفوك بسبب السكْر.

فأنت بالغ الشحّ! ومقتّر حتى على نفسك. ولقد كان أبوك على نفس الشاكلة.

ستون – (يرفع نظره ويتقدم): لكن حذار، أصغي قليلاً . . .
(لكن من الواضح أنّ صـــاحب المحل أعـــرب عن احتجاجه أيضاً. أمّا «ميّ» التي أخذت شرابها، فتصغي اليه وترد عليه)

مي – (تقـول لصاحب الحـانة): لابأس، يافـريد، وياولدي. لن أزيد كلمة من بعد، اعدك بذلك. سأكـون عاقلة. (تشرب بانشراح بينما يعود ستون إلى مكانه ويستردّ جريدته) أنا لست إلا عجوزاً مختلّة العقل، دفَنَتْ كافة الذين كانوا يحبونها، وأمست تضع احدى قدميها في القبر (تقترب من ايفي الفزعة). سوف يقع لك مثل هذا ياحلوتي، إذا ماعُمِّرت طويلاً، سوف يقع لك (إنهم صامتون وكئيبون. فتنقّل مي بيك نظرها فيهم من واحد لآخر). هيّا! أنا أتيت إلى هنا لأرفع شيئاً من معنوياتي! فماذا دهاكم جميعاً؟ انتم شباب وأقوياء وبصحة جيدة، أليس كذلك؟

بيرسي – (بوقار): نحن إيضاً لدينا متاعبنا. والواقع أننا كنا مستغرقين للتوّفي الحديث عليها.

إيفي – (تريد ايقافه): يابيرسي!

(إيفي وبيرسي يبتعدان قليلاً).

مي بيك – بيرسي! وهكذا فبيرسي أيضاً لديه متاعبه الصغيرة. كلاّ؟ يالبيرسي المسكين!

بيرسي – لابأس، يامي. حسبنا كلاماً على ذلك.

مي بيك – يامي! إسمع يابيرسي. أنا دفنت خمسة رجال: زوجين وثلاثة ابناء كان بوسعهم أن يبتلعوك على فطورهم. أجل، وكانوا سيطلبون كمزيد أيضاً، شيئاً من سمك الحدّوق. وأسأل عن ذلك المستر ستون الجالس هناك، فهو يعرف الأمر حقّ المعرفة (تنظر إلى ستون الذي يواصل القراءة) ألا قل، ماذا في الجريدة؟

ستون – (مغمغماً): أكداس من الأنباء المهترئة السيئة على نحو ما جرت العادة.

مي بيك – ربما حقاً. بيد أن أنبائي أنا السيئة هي التي تشغلني أنباؤهم. (تقول لإيفي) ماذا تقولين يافرختي؟

إيفي – أجل، هذا صحيح تماماً.

مي بيك – هذا صحيح تماماً، كلا؟ آه. أراهن على أن متاعبك ليست كثيرة مع بيرسي ذاك، إلا إذا كان يمسح على الدوام حذاءه الصغير الجميل بالسجاد قبل الدخول. حين كنت في مثل سنّك ياحلوتي، كنت متزوجة من رقيب في البحرية. وحين كان يعود إلى

البيت. كانوا يلاحظون ذلك بطريقة أو بأخرى، في الأسفل كانوا أم في الأعلى. لقد كنتِ في كافة الأحوال تلحظين وجود رجل في المنزل (انها تستند إلى المبسط باسترخاء وتتحدث مع نفسها). ياإلهي! وما نفع الكلام؟

لم يعد هناك من يعرفني، والجميع يستهترون بوضعي. ولِمَ وأيم الحقّ لايفعلون؟ يالمي بيك المسكينة! كان ينبغي لها أن تكون راقدة تحت التراب مثل باقي أفراد العائلة (تستدير نحو الآخرين). اليكم عني أنتم ومتاعبكم! انتظروا بعض الشيء لتصيروا مسنّين ووحيدين وتعافكم نفوس الجميع. يوم تظلون مستيقظين ليلة في اثر ليلة وجسدكم العتيق المنخور، كلّه أوجاع!

(تتمتم بينها وبين نفسها تقريباً) وحين تطمح لأن تسلي النفس بكأس صغيرة وسط صحبة مبهجة، مثلها في الأيام الخوالي السعيدة، تلقى نفسها وسط لمامة من المومياءات المهترئة الكئيبة. آه! ياإلهي، ليتني كنت ميتة ومدفونة، وتلك هي الحقيقة الحزينة. (يسود صمت مشؤوم يقطعه الدخول النشيط والحار لِهاري تيولي. وهو شاب بهندام لائق، من غير تأنق، بشوش وحسن الصحة وخفيف الظل).

هاري – (ينزل بقرب مي بيك): طاب مساؤكم جميعاً! لقد ازداد الضباب كثافة بعض الشيء هذا المساء، لكن الجو خارجاً عابق برائحة الخريف المستحبة. وهذا ما يذكّرني على الدوام بأيام فتوّتي. لست ادري لماذا، غير أنه واقع. طاب مساؤك، يامستر ستون، كيف تسير أعمالك؟

ستون – مساؤك سعيد. الأعمال كالعادة سيّئة مثل هذا الزمان!

هاري – هيّا، ليست الاحوال معك على غير مايرام، وأنا أعرف ذلك حق المعرفة. وكيف حالكِ يامسز ريد؟

مسز ريد – الوضع هو نفسه على الدوام. إنها معدتي.

هاري – (بين مي بيك ومسز ريد): إنه الطالع. لكنك تظهرين بحال أفضل. أما بعد، فأين هو فريد؟ (ينحني لينظر من صوب الباب المحجوب).

مي بيك – (وقد رفعت نظرها على نحو مباغت): لقد عرفتك، ياهاري تيولي.

هاري – لكن هذا صحيح! وأنا أيضاً عرفتك يامي. كيف حالك؟

مي بيك – هاري، ياولدي، أنا في حال بائسة كالجحيم. وهؤلاء الناس جميعاً يبدون لي موتى، أكثر منهم أحياء، فتؤثّر حالهم بي.

هاري – طيب! اشربي معي كأساً، يامي.

مي بيك – يالك من ولد رائع. لاتنصرف من فورك، ياهاري.

هاري – لن انصرف. فقد وصلت للتوّ. اطمئنّي يامي. وبعدها تقصيّن عليّ بعضاً من حكايات مستر ستون الطريفة.

مي بيك – ماذا؟ هو؟ لو كان يعرف من حكاية طريفة لاحتفظ بها لنفسه – هذا بيرسي، ياهاري.

هاري – (متوجها نحو الزوجين راندل): كيف حالك يابيرسي؟ أليست السيدة الفتية؟

ايفي – (بخجل): نعم.

هاري – سعدتُ بمعرفتكِ. هيه، يافريد. لاتدع الزبائن ينتظرون («يشاهد» فريد داخلاً). كيف حال فريد؟ . . . لابأس. يمكن للاحوال أن تتحسن كما يمكن لها أن تسوء مئة ضعف. أتَذْكُرُ ذلك المساء حين وثبنا جميعاً إلى تحت المبسط؟ وحين أخرجنا ميتي

وزوجته البورجوازية وصغارها من باب الحانة الخلفي؟ نحن اليوم في مرحلة ازدهار بالمقارنة مع تلك الفترة. طيب. اعطني نصفية ممزوجة[1] ثم واحدة غامقة مع قطرة جين من أجل مي. هلم، يافريد، بوسعك أن تجد بكل تأكيد قطرة للعجوز مي. أحسنت يافريد. آه. أما للمسز بيرسي، هنا. فهات كأساً للعروس. كلا؟ موافق يابيرسي؟

بيرسي – آه! . . . لابأس. ماذا تفضلين ياايفي؟

ايفي – لا بورتو، أليس كذلك؟ حتى ولا من كأس صغير؟

هاري – بلى، بكل تأكيد! فلدى فريد شيء من البورتو في زواية ما، أليس كذلك يافريد؟ رائع. فمن بعد دقيقة يكون كل شيء على مايرام فتبتهج قلوبنا المسكينة، فماذا ترين يامي؟

مي بيك – أنت فتى طيب ياهاري.

هاري – لاتصدقوا ذلك. (يقول لمسز ريد) ماذا تقولين يامسز ريد؟ لابد أنك سمعت حكاية أو اثنتين تحكيان عني، أليس كذلك؟

(١) جعة ممزوجة بعصير الليمون.

ستون – (كئيباً) : إن كانت لم تسمع شيئاً ، فأنا قد سمعت .
مي بيك – لم أرَ من صدق يوماً من يعمل في التمديدات المنزلية ، ولن يحصل ذلك اليوم .
هاري – آه ، آه . ذلك سيدفع بك للكلام من غير طلب ! أنعم بمي من عجوز طيبة ! (يأخذ كؤوس الشراب فيسدّد ثمنها ويعطي واحداً لمي ويحمل واحداً لإيفي . ثم يأخذ كأسه ويتوجه إلى صاحب الحانة) .
هاري – الوضع على مايرام يافريد ! هيّا ! أنا أعرف أن هناك ماينتظرك في المنهل الآخر . («ينظرون» إلى فريد وهو ينصرف ثم يرفع هاري كأسه وكذلك تفعل مي وإيفي) .
مي بيك – هاري ، هذا نخب صحتك ، يا ولدي .
هاري – ونخب صحتك أيضاً ، يا مي .
إيفي – (بخجل) : نخب صحتك .
هاري – (بحرارة) : نخب صحتك أيضاً ، أيتها الصديقة ، وعسى أن نعيش مئة سنة ! (أما وهم يشربون فقد دخل الغريب دون ضجة . لايبدو أنه «خارق» ومع ذلك فهو ليس بانسان «عادي» تماماً . إنه رجل متوسط في السن . بدين بعض الشيء . على وجهه الحليق مسحة من

الشـحـوب، ويرتدي مـلابس غـامـقـة. الآخـرون لا يعرفونه فيظلّ في البداية متنحياً).

ستون – ومانفع ذلك؟

هاري – ماذا تقصد بقولك هذا؟

ستون – أقصد أن أقول: لماذا تريد أن تعيش مئة عام؟

هاري – آه، ها أنذا أجـيبك. إنّه أسلوب في الكلام، ليس إلا. زد أن ذلك يلائمني كل الملاءمـة. وذلك حـتى احقّق فائدة من الحياة، فأنت تعلم...

مي بيك – لاتحدث هؤلاء الناس على الاستفادة من الحياة، اذ لايسعهم أن يدركوا فحوى كلامك.

مسـز ريد – يبـدو لي أنك كنت تتكلمين على رغـبـتك في الموت، قبل أن يصل تماماً.

مي بـيك – هذا ممكن، وسـوف تكونين مـثلي وأنت في موقعي. أما بالنسبة لك، فأنت في واقع الأمر ميتة غير أنك لاتدرين.

هاري – هيـا، يا مي، إن مـسـز ريد على حق، من وجـهـة نظرها، وهنا نحن جميعاً أصدقاء. وعلي أن أقول لكم إني ضحكت اليوم كثيراً...

ستون - (يقاطعه بغضب) : دقيقة، ياهاري تيولي، أودّ، قبل أن تقص علينا واقعة طريفة، أن تجيبني على سؤال لأزداد علماً .

هاري - (بفرح) : هيّا، فأنا تحت تصرفك .

ستون - ماالذي يجعلك أنت فرحاً إلى هذا الحد في الحياة؟

هاري - وأنت، ماالذي يجعلك شقياً جداً؟

ستون - أتريد مني أن أقوله لك؟

هاري - كلا، فانا على علم بذلك من قبل . (يشرب) .

ستون - إن الأمور لاتسير معك بأفضل منها معنا جميعاً . فأنت تتخبّط مثلنا وسط الفوضى ذاتها . ويدهشني أن تسير أعمالك على نحو أفضل من أعمالي .

هاري - وأنا أيضاً .

ستون - إذن، فما معنى هذا في الواقع؟

بيرسي - اذا اردت رأيي - وقد قرأت مقالة بهذا الشأن في مجلة - فإنّ المسألة مسألة غدد .

إيفي - (وقد صُدِمَت) : بيرسي، لاتتفوّه بالفاظ نابية .

بيرسي - ليست الفاظاً نابية . فلفظ الغدد كلام علمي .

هاري - لا أعلم شيئاً عن المسألة . فأنا لا أقرأ المجلات . لكن اليكم رأيي : نحن جميعاً في حقيقة الأمر أحياء، فكل شيء إذن على مايرام .

بيرسي – أجل، لكن إلى أين يمضي بنا ذلك؟
ستون – لايؤدي إلى أي مكان. فهو لايعرف عمّ يتكلم.
الغريب – أعذروني.
(يعتذر بلهجة هادئة لكنّها آمرة على نحو غريب. فيستديرون جميعاً وينظرون إليه)
ستون – ماهذا؟
الغريب – أعذروني لقطع كلامكم، لكنّي هنا في مهمة كما قد تعلمون، وأخشى أن أكون ملزماً بالافصاح عنها تماماً، إن لم يكن هنالك مايضيركم.
هاري – لابأس. فنحن لانمنعك. فهل تريد أن ترى السيد-فريد؟
الغريب – آه! كلا، لاضرورة لذلك (ينزل بين هاري ومسز ريد). فأحدكم يؤدي الغرض تماماً. بل يلزم في الواقع أن يكون واحداً منكم.
ستون – اسمع، إن كنت تسعى لأن تبيعنا شيئاً، فلي أقل ما يمكن. لأنهم باعوني بما فيه الكفاية.
الغريب – كلا، كلا، فليس في نيتي أن ابيعكم شيئاً (ينظر إليهم جميعاً بعض الوقت).

إيفي – (بزفرة وهي تتشبث بذراع زوجها) : بيرسي، إنني خائفة .

بيرسي – (غير مطمئن) : الامور بخير ياإيفي (يستجمع شجاعته كلها فينظر إلى الغريب ويقول) اليك، ماذا دهاك؟ وليس من طلب إليك الدخول إلى هنا .

الغريب – هذا واقع . لكن لاتنس أنه مكان عام .

هاري – (وقد صعد درجة وعيناه تحدقان بالغريب) : صحيح تماماً . لك الحق في أن تكون هنا مثلنا تماماً! لكن اذا كان لديك من شيء تقوله، ياصاح، فأود أن تفصح عنه حتى النهاية .

الغريب – (ملتفتاً صوب هاري) : ذلك بالضبط ما قلته لكم، لحظة اعتذرت بسبب قطع حديثكم، تذكروا . أما الآن فسوف اوضح الأمر .

مسز ريد – (تقاطعه بجفاء) : أما أنا فلست بحاجة لايضاحاتك (الغريب يستدير صوبها) ولست أرى مايدعو لأن تأتي فتزعجنا . وليس مثل هذا بمسموح به في أكثرية المناهل، وسوف اتحدث في الأمر إلى السيد فريد نورتون .

الغريب – (وهو يوالي اعــتــذاره): أخــشى أن يكون ذلك متعذراً عليك الآن، فعلينا أن نسوّي مسألتنا البسيطة فيما بيننا من قبل أن يرجع فريد.

مسز ريد – لا تنطق بالحماقات. فهو سيأتي على الفور (تخبط بيدها على المبسط وتستدير لتنادي فريد. فيختنق النداء في حلقها وهي تنظر أمامها بذهول. فتشير إلى المكان الذي تخيلناه مدخلاً لفريد القادم من المنهل الآخر). انظروا! إنه مسطوم تماماً، أو أنه. . .

(ينظر الآخرون ذاهلين فيما تطلق إيفي صرخة هلع)

إيفي – إنه لوح من الرخام كالذي يوضع في المقابر (وتتشبث بذراع بيرسي الذي جاء لقربها).

ستـون – (وهو أبعـد الجـمـيع عن المكان): إليكم! هذا مستحيل.

هاري – (بهدوء): إلا أنه حقيقي.

(ويستديرون بكل بطء صوب الغريب الذي يقابلهم ببسمة اعتذار)

مي بيك – لقد أدركت من فوري أنك مشعوذ كبير.

الغريب – على رسلك يامي بيك.

مي بيك – (تقاطعه بجفاء): ومن قال لك اسمي؟

الغريب – أعرف أسماءكم جميعاً. فذلك ضروري لعملي (يشير إلى كل واحد منهم على التوالي) ادوارد ستون، هاري تيولي، بيرسي راندل، ايفي راندل، بير ثاريد، كاثلين بيك الشهيرة باسم مي بيك. أذلك صحيح أم لا؟

إيفي – (باستعجال): بيرسي، هيا بنا.

بيرسي – انتظري لحظة ثم نمضي من بعد.

الغريب – لايسعكم الانصراف من قبل أن انتهي.

ستون – (يهب واقفاً وكانه على استعداد للانصراف): سأذهب حين ارغب.

الغريب – لاأعتقد ذلك (يتوقف ستون وينظر إلى الغريب).

مي بيك – إنه أحد أفراد سلك الشرطة، تلك هي حقيقته.

هاري – كلا، على الاطلاق (يقول للغريب) طيب اخبرنا ما حقيقة الأمر.

الغريب – الحق أن الأمر بسيط جداً. فبعض الناس يموتون يومياً، أليس كذلك؟ وليس العدد نفسه كل يوم، وهذا طبيعي، لكن لابد من تأمين عدد وسطي. وليس من شك في أنكم قد تساءلتم كيف يتم ذلك، ومن الذي يختار الذين يجب أن يموتوا. ومن الشائع القول: «لقد دخل الموت إلى ذلك الكنزل» أو «لقد أصاب الموت

ذلك الرجل»، لكن من المؤكد أن الموت لايستطيع القيام بكل شيء من ذاته. وأن من الضروري وجود مايشبه المنظمة. وأنا ممثلها في القطاع الشمالي الشرقي رقم (2) من لندن (يبسط أمامهم خريطة أو خريطتين كبيرتين موشحتين بالسواد ثم يتركهما لهم. فيأخذون بتفحصهما وتناقلهما من يد إلى يد وهم ينظرون إلى الغريب بصمت وذهول. فيواصل كلامه بكل هدوء وبمنتهى الراحة وهو يعتذر تقريباً) وها إن الدفعة المطلوبة تحددت منطقتها في قطاعي. ففي ساعة مبكرة من هذا الصباح، وهو بالتأكيدالوقت الأكثر ملائمة، اخترت ثمانية أشخاص وأثنين من بعدهم وقت العصر، غير أني عانيت بعض المتاعب فيما بعد بشأن صبي صغير، إنه ولد لطيف بلغ لتوّه الرابعة من العمر. وهكذا صرت مستعداً للعودة إلى البيت حين تذكرت على نحو مباغت أن الدفعة المطلوبة مازال ينقصها شخص واحد. وهذا مادعاني للدخول إلى هنا. كان بوسعي طبعاً أن أختار واحداً من بينكم، على نحو ما أفعل عادة، لكني فكرت في أنه سيكون تغييراً مستحباً سوف يروق لكم اذا ماتركت لكم هذه المرّة حرية تقرير من الذي سيجري اختياره.

ايفي – (لاهثة): ليموت هذا المساء؟

الغريب – (بهدوء): بالتأكيد. ولاتنسوا أنّ عليكم جميعاً أن تموتوا ذات يوم. فليست المسألة كأنّ البعض سيموت والبعض الآخر لا، لأنها ستكون فكرة غير مقبولة. المسألة لاتعدو ببساطة أن يتقدم أحدكم فيودي خدمة للاخرين ولي أيضاً، عن طريق تسبيق دوره.

ستون – لست أصدّق كلمة واحدة من كل ذلك، لكني سمعت بما فيه الكفاية وها أنا ذاهب (فيضع قبعته ويزّرسترته بهيئة تحد).

الغريب – لقد قلت لكم: ما من أحد يستطيع الخروج قبل أن يكون كل شيء قد انتهى.

ستون – حاول اذن أن توقفني.

الغريب – طيب. حاول أن تخرج. اذ لايمكن بعد كل شيء القيام بعمل مثل هذا من غير التمتع بسلطة ما. وليس من يستطيع القول إني لم اسع لجعل المسألة سهلة ومقبولة من الجميع. وقد توجب علي سطم أبواب هذا المنهل لأن علينا تسوية كل ذلك فيما بيننا، من غير أن يقاطعنا أحد.

ستون – (يشير إلى الباب) : ذلك الباب ليس محظوراً وسوف اعبره بخطواتي هذه (يتوجه صوب الباب، لكنه يتوقف بغتة وهو يتلّوى من الألـم) إنه ظهري اللعين. لاأقوى على القيام بخطوة أخرى .

الغريب – لقـد أُصبِتَ في نقطة الضـعف . من الطبيـعي أن نكون على اطلاع واسع (يقـول للآخـرين) . أمـا الآن ، وحتى لانبدّد المزيد من الوقت ، فهل من يرغب أيضاً في المحاولة؟

(يعود ستون إلى مكانه بمظهر من الخيبة)

مسز ريد – (مرتعدة وغاضبة) : أجل، أنا، اني ذاهبة .

الغريب – (ببرود) : اعتقد أنها المعدة بالنسبة لك . حاولي فقط وعندها تعرفين .

(تنطلق مسز ريد راكضة لكنها تتوقف على بعد ثلاث أو أربع خطى من الباب بسبب ومضـة ألم في معدتها . فتصرخ متوجّعة وتنثني على نفسها. لاينبغي «الافراط» في ذلك اثناء هذا المشهد القصير) .

مي بيك – (تغمغم وتنزل خطوة) : الجحيم والدينونة . الحق إنّه الشيطان بعينه . فلا يقول لنا من شيء سوى الحقيقة .

(ينهي ستون شرابه وهو يرتعد. وتعود مسز ريد إلى مكانها وهي تنشج. والكل ذاهلون ينظرون إلى الغريب).

الغريب – طيب، هذا هو الوضع. أما الآن فأطرح السؤال: أيّ واحد من بينكم؟

ستون – حسن جداً. المسألة سهلة (يشير بشكل درامي إلى مي بيك الملتفتة صوبه).

مي بيك – (ذاهلة): ماذا! أنا؟ (وتصعد خطوة إلى مستوى هاري).

ستون – نعم، أنت (يقول للغريب بحرارة) قبل أن تدخل بقليل وقبل أن يدفع هاري تيولي ثمن كأسها الثانية، كانت تتظلّم وتئنّ لأنّها عجوز ووحيدة. بل كانت تقول إنها تودّ لو أنها ماتت ودفنت.

بيرسي – هذا صحيح. وأنا سمعتها.

مي بيك – (ساخطة): لكن هاكم! لقد انفلتوا جميعاً ضد امرأة مسكينة عجوز لم تلحق البتة من أذى بأحد، والتي قامت بسرد بعض الحماقات لأنها لم تكن تملك ثمن كأس ثانية.

مسز ريد – إلا أننا جميعاً سمعناك! كنت تقولين إنه لم يبق لديك من أحد في العالم وإنه كان عليك أن تكوني ميتة ومدفو . . .

مي بيك – (تقاطعها مغتاظة) : حسبك أنت! كنت أحكي ترّهات . لكن ماذا تقولين لو تكلمنا عليك؟ فانت دوماً تعودين في حديثك حول معدتك وتقولين إنّك لم تعرفي قط أدنى متعة . فبماذا يفيدك أن تعيشي ، وأنا أود حقاً أن أعرف ذلك؟

مسز ريد – (بغضب) : أنا اصغر منك بخمسة وعشرين عاماً وأنت قلت بنفسك إن احدى قدميك قد أمست في القبر .

مي بيك – نعم ، لكن القدم الأخرى ماتزال حيّة تماماً ، وبجهد قليل استطيع استخدامها لأرفس . . .

هاري – (يتقدم خطوة منها) : هيا ، دعي عنك ، يامي . فليست هذه طريقة في السلوك . علينا أن نلتزم الهدوء .

مي بيك – (توشك أن تبكي) : لابأس ، ياهاري ، أنت ولد طيب . لكن امنعهم من التهجّم علي ، فانا امرأة مسكينة عجوز لم تقع عينها على كاهن ، ولا على كنيسة من

الداخل، منذ ثلاثين سنة. وهي ليست بعد مستعدة لأن تموت. (تقول للغريب): الأمر إلزامي هذا المساء أليس كذلك؟

الغريب – (وهو ينظر إلي ساعته): أجل، وبعد قليل. فلا أستطيع اعطاءكم أكثر من ربع ساعة. وبعد هذا الموعد، سيكون هنا لاصطحاب واحد منكم.

بيرسي – (متضايقاً): ومن «سيكون»؟

الغريب – لافائدة من التحديد. إنه واحد من رؤسائي. إنها منظمة واسعة (ثم يصعد خطوة حتى يتكلم من جديد).

بيرسي – فهمت. طيب...

إيفي – (تستحثه): لاتتدخل يابيرسي.

بيرسي – كنت أنوي فقط أن أقول: إنه ينبغي أن يكون واحداً من أولئك الثلاثة

(فيشير إلى مي بيك ومسز ريد وستون).

مسز ريد – آه. هل... لو تكلمنا قليلاً عليك!

ستون – ذلك بالضبط ماقصدت أن أقوله. فمن ذا الذي قال لنا إن الحياة لاتستحق أن تعاش؟

بيرسي – (بحميّة): إنها هي، مسز ريد. قالت لو أن السؤال طرح عليها لأجابت: كلا إنها لاتستحق أن تعاش...

مسز ريد – (تقاطعه): في تلك اللحظة قالت زوجتك إن ذلك هو ماتردّده أنت دوماً.

إيفي – (مضطربة): لم أقل «دوما». قلت «أحياناً». هذا صحيح. إنّي اؤكّد لكم.

ستون – قال إنّ الحياة تثير فيه التقزّز. ونحن سمعناه.

إيفي – (يائسة): ليست تلك إلا طريقة في الكلام. أنا أعرفه. فهو فتيّ ونحن قد تزوجنا لتونّا وفرشنا بيتاً صغيراً جميلاً.

ستون – لايبدو أن ذلك يسبب له الكثير من المتعة.

إيفي – بلى وبكل تأكيد فهو مفتون بذلك تماماً. لكنها فقط طريقته في الكلام! (تقول بجرأة الخجولين) لقد سردتَ أنتَ أشياء عديدة وأسوأ بكثير! حين كلمتنا على ما ينتظرنا.

ستون – إنها مجرد طريقة في الكلام. فأنا لديّ مصلحة. ولدي مسؤوليات. وإذا ما تواريت فسوف يسبب ذلك تغييراً كبيراً لدى بعض الناس. أما لو كان واحداً منكما، أنتما الصغيرين، فما أهمية ذلك؟ إنه سوف يجنّبكم الكثير من المتاعب.

بيرسي – طيب، وأنتَ أيضاً. إنها مناسبة لتتجنّب البعض منها. كلا؟

ستون – فلنتكلم بتعقّل.

مسز ريد – لابأس. انه يتكلم بتعقل. لقد كنت بسهولة أسوأ من النحس، ياتيد ستون. فديدنك الدائم أن تتذمّر، وأن تتذمّر، وأن تتذمّر.

ستون – (صارخاً تقريباً): لابأس، أنا أتذمّر. لكني اريد تحديداً أن استطيع مواصلة التذمّر، مفهوم؟

مسز ريد – على كل حال فأنت لست وحيداً، فعلى مي بيك أن تولّي، فليس لديها من مبررات للعيش.

مي بيك – (مُعْوِلَةً تقريباً): بل لدي أكثر مما لديك على الاطلاق، يافردة الحذاء المهترئة البائسة والانانية.

الغريب – (بسلطة بارعة): صمتاً! (يسود صمت تام. فينظرون إليه): لقد خيبتم أملي. لو أني تبينت أن كل ذلك سيؤول إلى مثل هذا المشهد الفاجع. لكنت اخترت طريقة أخرى. فقد اعتقدت أنه سيكون من اليسير على واحد منكم أن يقترح نفسه كمتطوع.

ستون – (بكآبة): لست أرى من الذي ادخل هذه الفكرة الغبية إلى ذهنك.

مسز ريد – وأنا أيضاً.

الغريب – يتراءى لي أن ذاكرتكم ضعيفة، أليس كذلك؟ اذن، لابأس. (ينظر اليهم برصانة وسيطرة ويؤدّي بيده حركة كبيرة باتجاه معاكس لعقارب الساعة. ويمكن أن يرافق ذلك ضجيج آلي).

هاري – ماذا تفعل؟

الغريب – أقوم بتأخير الساعة. أما الآن فاسمعوا أنفسكم (على الممثلين أثناء هذا المشهد أن يظهر عليهم مايشبه التنويم المغناطيسي).

هاري – (كما قال من قبل): ... وعسى أن نعيش مئة سنة!

ستون – ومانفع ذلك؟

هاري – ماذا تقصد بقولك هذا؟

ستون – أقصد أن أقول: لماذا تريد أن تعيش مئة عام؟

هاري – آه، ها أنذا أجيبك. إنه أسلوب في الكلام، ليس إلا. زد أن ذلك يلائمني كل الملاءمة. من أجل أن احقّق فائدة من الحياة، فأنت تعلم...

مي بيك – لاتحدث هؤلاء الناس على الاستفادة من الحياة، إذ لايسعهم أن يدركوا فحوى كلامك.

مسز ريد – يبدو لي أنّك كنتِ تتكلمين على رغبتك في الموت، قبل أن يصل تماماً.

مي بيك – هذا ممكن، وسوف تكونين مثلي وأنت في موقعي. أما بالنسبة لكِ، فأنت في واقع الأمر ميتة غير أنّك لاتدرين.

هاري – هيا، يامي، إن مسز ريد على حق، من وجهة نظرها، ونحن هنا جميعاً أصدقاء. وعلي أن اقول لكم إني ضحكت اليوم كثيراً...

ستون – (يقاطعه بغضب): دقيقة، ياهاري تيولي. أود، قبل أن تقصّ علينا واقعة طريفة، أن تجيبني على سؤال لازداد علماً.

هاري – (بفرح): هيا، فأنا تحت تصرّفك.

ستون – ما الذي يجعلك فرحاً إلى هذا الحد في الحياة؟

هاري – وأنت، ما الذي يجعلك شقياً؟

ستون – أتريد مني أن أقوله لك؟

هاري – كلا، فأنا على علم بذلك من قبل (يشرب).

ستون – إنّ الأمور لاتسير معك بأفضل منها معنا جميعاً. فأنت تتخبّط مثلنا وسط الفوضى ذاتها. ويدهشني أن تسير أعمالك على نحو أفضل من أعمالي.

هاري – وأنا أيضاً.

ستون – اذن، فما معنى هذا في الواقع؟

بيرسي – إذا أردت رأيي - وقد قرأت مقالة بهذا الشأن في مجلة - فإنّ المسألة مسألة غدد.

إيفي – (وقد صُدِمَت): بيرسي، لاتتفوه بألفاظ نابية.

بيرسي – ليست ألفاظاً نابية. فلفظ الغدد كلام علمي.

هاري– لااعلم شيئاً حول المسألة. فانا لاأقرأ المجلات. لكن اليكم رأيي، نحن جميعاً في حقيقة الأمر أحياء، فكل شيء اذن على مايرام.

بيرسي – اجل، لكن إلى أين يمضي بنا ذلك؟

ستون – لايؤدي إلى أي مكان. فهو لايعرف عمّ يتكلّم.

الغريب – (واضعاً كفيّه على المبسط وهو ينحني بعض الشيء). أعذروني - وفي تلك اللحظة دخلت أنا. طيب. هاأنتم قد سمعتم (يحدّق فيهم متملياً برصانة ويلقي نظرة على ساعته). استطيع أن امنحكم خمس دقائق أيضاً. فان لم تكونوا قادرين، بعد هذا التمديد، على تعيين واحد من بينكم، فسوف أتولّى أنا الاختيار بنفسي (ويصعد درجة بكل هدوء).

إيفي – (بجرأة): معه حق. فنحن جميعاً. في المعمعة، باستثنائه هو، وأقصد المستر تيولي. فذلك حقاً ماقد قلناه. أي كما لو أنّ الموت بالنسبة للجميع سيان (تترد هنيهة ثم تنظر إلى الغريب بقلق) ألا يسعنا أن نكون اثنين بدلاً من واحد؟ أقصد لو كنا أنا وبيرسي معاً لوجدت الأمر أقل رهبة.

بيرسي – (مغتاظاً): هيه، رويدك، ياإيفي. لماذا تنوين وضعنا في المقدمة؟

الغـريب – (بمواجهة مسز ريد والزوجين راندال): اثنان، ذلك مستحيل. واحد فقط.

مسز ريد – (مرتعبة): لاتنظر إليّ هكذا.

هاري – (يقول للغريب): طيب. ليس من طائل وراء المزيد من المناقشة.

(يستدير الغريب ببطء صوب هاري)

إيفي – (ذاهلة): تقصد أن تقول أنت، يامستر تيولي، إنك تقدم نفسك للذهاب؟

هاري – اجل. ولم لا؟

إيفي – غير أنك أنت الوحيد الذي . . .

هاري – أعرف وماذا بعد؟ لقد أفدت من الحياة وعلينا جميعاً أن نموت ذات يوم . . .

إيفي – هذا ليس بعدل .

بيرسي – الزمي الصمت ، ياإيفي .

إيفي – (بعزيمة) : كلا ، لن اسكت . بل أقول : ليس بعدل على الاطلاق أن يكون هو . كلا ، يابيرسي . وسوف يتولاني إحساس بالعار طول حياتي . . .

هاري – (ينظر اليها مبتسماً) : لاتحمّلي نفسك الهموم على هذا النحو ، ياإيفي . بل استعيدي مرحك ، واسعَيْ لأن تجعليه ، هو أيضاً ، أكثر مرحاً . (يشير إلي الغريب) أما الآن فانظروا اليه . (ينظرون إلى الغريب الذي يبتسم بفرح) لقد نال ما ابتغاه ، ولديّ انطباع أنه كان يعرف على الدوام أنني أنا المطلوب .

إيفي – هل هذا صحيح؟ (تتوجه بسؤالها للغريب) .

الغريب – (ينزل إلى المبسط) : لحظة (يخرج من جيبه الداخلي هاتفاً صغيراً أبيض ويبدأ التحدث بواسطته.) أجل ، ياسيدي . هنا القطاع الشمالي الشرقي من لندن رقم (2) كل شيء أنجز ، ياسيدي . بالضبط ، ياسيدي . إنه هاري تيولي . (يعيد الهاتف ويبتعد خطوة وهو يبتسم

في وجه إيفي وهاري) نعم، في الواقع، فقد كانت لدي فكرة حول ذلك. فالذين لايجرؤون على العيش، لايحبون الحياة، لانهم لايعرفون الإفادة منها. لكن ذلك لايعني أنهم يرغبون في الموت. فالموت يسبب لهم خوفاً أكبر أيضاً. وهذا هو السبب الذي جعلني أخمن أن هاري تيولي، وهو الذي يحب الحياة، سوف يرضى بأن يفارقها.

إيفي – غير أني اكرر القول أيضاً: ليس هذا بعدل وأنا أشعر بالمذلة، ولولا أنّ عليّ أن أرعى بيرسي . . .

هاري – سوف تتوصلين إلى أن تجعلي منه رجلاً، ياإيفي. ثم انسَيْ كل ماعدا ذلك. (يبدأ بالنظر اليهم واحداً في إثر واحد). لابأس، لكن احرصا، يامستر ستون ويامسز ريد، على أن لايقوى صاحبنا، في المرة القادة، على التقاط أحاديثكما.

(تبتعد مسز ريد خطوة)

ستون – لن يراني أحد من بعد قادماً إلى هنا.

الغريب – (بقسوة): إن الأمكنة التي يصادفني الناس فيها يمكن أن تباغتك.

هاري – اعتني بنفسك جيداً، يا مي.

مي بيك – (تتمتم): فليباركك الله، يا هاري. كان رأيي على الدوام أنّك ولد طيّب.

هاري – وأنت يابيرسي، اسهر على راحة زوجتك الفتيّة. فانت محظوظ. إنها تساوي عشرة من أمثالك.

إيفي – (بخجل): آه، كلا! لكن شكراً على ماقلته له. وأنا لن أنساك أبداً، أبداً. (تتوجه اليه فتعانقه بحرارة ورفق ثم ترجع وهي تبكي فتسند رأسها على كتف بيرسي. فيحيطها بذراعه وينظر إلى الآخرين بشيء من التحدي).

هاري – وأخيراً فإن هذا لرائع، ياصاحبيّ! ابقيا هكذا دائماً (ينظر إلى الغريب) لابأس. أحسب أننا جميعاً على استعداد للوثبة الكبرى. فوداعاً لـ«الوردة والتاج».

الغريب – (برصانة): أما اذا كانت الحياة وردة فالموت عندئذ هو التاج.

(فيما هو ينظر إلى المدخل المفترض
للمنهل الثاني، يقول بصوت قوي)

حسن جداً، ياسيدي.

(ينظرون جميعاً في ذلك الاتجاه. وجميعهم، باستثناء هاري الذي يظل مستنداً للمبسط، والغريب طبعاً وقد صعد نحو الصدر، يتراجعون مذعورين. على النور المواجه أن يكون أشدّ وأن يوجّه نحو هاري الذي يبدو مذعوراً هو أيضاً، وهو يراقب دخول شيء ما أو دخول أحد ما. لكنه يكفّ بغتة عن اتخاذ مظهر الخوف فيبتسم بهدوء وكأنّه يشاهد صديقاً. وعندها يحني رأسه ببطء. أما الآخرون في الخلف فيبدو عليهم الهلع ويصابون بالذهول. وبينما الغريب يحني رأسه هو أيضاً ويبتسم، ينسدل الستار بكل هدوء).

– النهايــة –